

جان دارك ..

الحقيقة التي تحولت إلى أسطورة

للدكتور حامد طاهر

تقدم قصة (جان دارك) نموذجا متفردا للبطولة والمأساة في نفس الوقت ، ويمكنك أن تقول عنها إنها : بطولة مأساوية .

وحيث أن أحداث القصة وقعت بالفعل في مطلع القرن الخامس عشر ، فقد مرَّ عليها الآن حوالى خمسمائة سنة ، لكنها تظل من أهم معالم التاريخ الفرنسى — الإنجليزى ، وامتدت أصدائها بعد ذلك لتتردد في كل أنحاء العالم .

فمن هي جان دارك ؟ — فتاة فرنسية ، ولدت في أحد أقاليم فرنسا الشرقية ، في أسرة ريفية بسيطة ، سنة 1412 . وقد زعمت أنها شاهدت أثناء وجودها في المحقل وكانت في الثانية عشرة من عمرها : رؤيا للملاك ميكائيل ، وكاترينا الإسكندرانية ، والقديسة مارجريت ، وهم يطلبون منها أن تنهض لتحرير بلادها من الاحتلال الإنجليزى ، وأن

تعيد ولى العهد

الذى كان مستعبدا إلى عرش

فرنسا . وقد قالت إنها

بكت كثيرا حين ودعوها وغادروا المكان ، لأنهم كانوا غاية في الجمال !

وبالطبع لم يصدق آباء الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا حينئذ هذه الرؤيا ، وأمثالها مما كان يقع للفتاة الصغيرة واعتبروه ضربا من التهيؤات ، أما هي

فكانت مصدقة تماما به ، بل إنها راحت تعمل على تحقيقه في الواقع .

حتى أنها تمكنت من مقابلة ولى العهد (شارل السابع) الذى أعجب بحماستها وشجاعته ، فقرر

ضمها — رغم صغر سنها — إلى مجلس الحرب الذي كان لنا يحضره إلبا كبار المقادة .

وفى هذا المجلس نجحت جان دارك أن تقنع الحاضرين بضرورة تغيير استراتيجية مقاومة الاحتلال الإنجليزي من مجرد الدفاع وصد الهجوم إلى البدء بالهجوم على الأعداء فى وجوههم وليس من الخلف كما كان يحدث من الفرنسيين ضد الإنجليز خلال الحرب المتى عرفت فى تاريخ أوروبا باسم : حرب المائة عام .

ومما يسجله تاريخ تلك الحرب أن جان دارك قادت إحد لفرق الجيش لفرنسى وهى فى السادسة عشرة من عمرها ، وكان النصر حليفها واستطاعت أن تستولى على بعض الحصون المتى كانت ممتنعة على الفرنسيين ، وهو الأمر الجنود والمضباط معا .

كانت جان دارك ترتدى زى فارس ، وتحمل سيفاً ورمحاً ، كما كانت تقنم صفوف الإنجليز وهى ترفع راية فرنسا ، كما اشتهرت بقصة شعرها القصيرة لتبدو على شكل غلام وليس فتاة جميلة فى مقتبل العمر .

أما الشكوك المتى أحاطت بها ، فكان مصدرها بعض رجال الدين الذين اعتروها مجرد فتاة مشعوذة (وهذا يعنى أنها قريبة من الهرطقة المتى كان يستحق صاحبها الإعدام حرقاً !) وفى سبيل ذلك أرسلوا إليها لجنة لتفحصها عقلياً ، لكن الملحنة كتبت فى تقريرها إنها وجدتها (فتاة مسيحية جيدة ، تمتلك فضائل التواضع والصدق والبساطة) !

وعلى الرغم من تلك الشكوك الدينية ، كانت سمعة جان دارك العسكرية تنتشر فى البلاد ، باعتبارها مؤيدة بروح المهية . وكانت رسالتها إلى الشعب الفرنسى كله أن يهب من حالة يأسه وضعفه لمقاومة الاحتلال الإنجليزي وطرده بالكامل من البلاد ، وأن يعيد لولى العهد المشرعى عرش فرنسا الذى كان يتلاعب به الإنجليز .

ومثل أى مرحلة بائسة من مراحل الاحتلال ، توجد عادة من أهل البلاد من يتعاون مع هذا الاحتلال ويساعده على البقاء . وفى إحدى المرات المتى قادت فيها جان المتعاونين مع وقعت فى الأسر . وكان العرف يقضى بفك

أسرها لقاء فدية معينة ، إلا أن
ولى العهد الذى حاربت وضحت من
أجله لم
يحرك ساكنا ، كما أن الإنجليز أوعزوا إلى الأمير الخائن
باستثناء جان دارك وحدها من نظام الفدية .

وهنا وجد رجال الدين فرصتهم سانحة للانتقام منها ، فعقدوا لها محاكمة مزورة تحت إشراف الإنجليز بالمطبع ، وأدانوها بالمهرطقة
،وحكموا عليها بالإعدام
حرقا ! وقد تم تنفيذ الحكم بهذا الأسلوب الوحشى البشع يوم الثلاثين من مايو سنة 1431 وكان عمرها حينئذ (19) عاما ..

ومما يذكر أن النار التى أشعلوها لتحرق فيها جان دارك قد انطفأت مرتين ، وخوفا من أن يبقى من رفاة جسدها المحترق شيء ،
فأخذها الناس على سبيل البركة ،
مرتين .
لكن هل نجحوا فى
المقضاء المتام
عليها ؟

كلا .. فلم تمض أكثر من 22 عاما فقط حتى اعتلى شارل السابع عرش فرنسا ، كما عملت من أجل ذلك جان دارك . ثم ما لبث بابا روما
أن أعلن بطلان محاكمتها السابقة ، وفتح التحقيق من جديد فى قضيتها سنة 1452 ، وفى عام 1456 صدر الحكم
باعتبار جان دارك شهيدة ، وأدين
من أسلموها
للإعدام !

وفى عام 1920 من القرن الماضى فقط ، أعلن الفاتيكان : جان دارك (قديسة) ، فأصبحت بذلك من أكثر القديسين شهرة فى الكنيسة
الكاثوليكية على مستوى العالم كله .

